

الفصل السابع التنوير

السييل لليقظة الداخلية

لا يقصد بالتنوير التخلص من الذات غير المستنيرة ثم البحث عن ذات مستنيرة وهي الذات البوذية. يمكن آخر؛ ولأنك بوذي فلا يوجد ذات لتتخلص منها وذات أخرى تجدها، ولتتخلص من الجهل والأوهام لتكتشف أنك بوذي حقيقي وأنت كاملا كما أنت، فإذا علمت هذه الحقيقية، فستموت من الضحك على نفسك وعلى المجهود والوقت الذي قمت بتضييعه لإيجاد نفسك، ستضحك وكأنك وجدت السعادة والطمأنينة.

ويقصد بالتنوير عدم تلوث الفكر بالتفكير في الموت والحياة على الرغم من أننا نحيا بعالم الخلق والاختفاء، ومن المعروف أنك لن تتخلص من هذا العالم وتذهب لعالم آخر، ومن المعروف أيضا أن التنوير يوجد وسط التلوث والتدنيس، وبدلا من التفكير في أنك يجب عليك التخلص من الأفكار الملوثة والمدنسة للحصول على حالة منفصلة وهي التنوير، فإن التنوير يقتضي بأنه لا يوجد مطلقا ذات توجد بصورة منفصلة عن الذات التي

يشوبها التدنيس والتلوث والأوهام والقلق، ومن المعروف أيضا أن التفكير والسمع والأفكار المضللة تثار جميعها من هانوم، وجميعها يؤثر على التنوير الداخلي.

إذا اهتممت فقط بالفراغ وأهملت العالم المادي، أو إذا أهملت ظروفك الحالية وقلت أن كل شيء غير دائم، أو لا يوجد ما يدعى بالآنا، فلن يكون هذا الطريق الواسطي، فإذا رأيت أحد الجانبين فقط ولم تر الجانب الآخر، فستكون قد انحرفت عن الطريق الواسطي الذي بدونه لن يكون هناك تنوير.

لكي تعلم نفسك يجب أن تموت ثلاث مرات؛ فبعد الموت أول مرة ستجد نفسك، وبعد الموت لثاني مرة ستعلم أن جميع الأشياء ليست منفصلة، وعندما تموت للمرة الثالثة ستصبح قادرا على إظهار عدم الازدواجية، وهذا يقصد به أن تتغلب على ثلاث مراحل ليست ثابتة، الأول أن تعيد كل المعوقات والأمور إلى أساسك وأصلك، فإذا استمرت بفعل هذا، فستكتشف أصلك الحقيقي، وبمجرد معرفتك لذاتك الأصلية، فيجب أن تصرف حتى هذا الأمر عن ذهنك دون أدنى تفكير فيه، فإذا فعلت هذا واستمرت بفعله ستأكد أن كل شيء متصل ولا يوجد شيء منفصل بهذا الكون، فإذا استمرت في القيام بهذا، فستعلم أنه حتى عقلك الغافل سيختفي وسيتم الوصول لحالة الفراغ الحقيقي، وعند الوصول لهذه النقطة سيتمكن إظهار حالة عدم الازدواجية، على الرغم من أن هذه المرحلة مختلفة، فإن التمارين هي نفسها لكل مرحلة، لتعود إلى ما بداخلك، لترى كل شيء كنفسك أنت وليس كشيء منفصل، ولتصرف عن ذهنك هذا لتتقدم إلى الأمام.

إذا كنت متدربا ذا إيمان راسخ، فلن يكون هناك مراحل؛ لأن الحقيقة في كمالها تعمل بشكل متساوٍ في نفس الزمان والمكان، وهكذا تكون متاحة لكل واحد منا في كل لحظة، وبهذا المعنى نجد أنه ليس هناك مراحل، ولكن

ومن وجهة نظر أخرى نجد أن المراحل موجودة بوضوح، ويجب أن تمر بهم وتتقدم للأمام بدون كسل.

لكي ترى حقيقتك الفطرية

المرحلة الأولى من التدريب هي ترك الذات غير المستنيرة، وتجري اختبارات حتى تعلم ذاتك الحقيقية، وفي هذه المرحلة يموت الممارس لأول مرة ثم يولد من جديد.

وفي المرحلة الأولى هذه يحتاج الممارس أن يتذكر الجيونجيونج، ويجمع كافة الأفكار الخارجة ويعهد بها إلى جيونجيونج بالإضافة إلى كافة المعوقات وكل ما يثار من أفكار، وفي هذه المرحلة يعد الإيمان هو أهم شيء، ويجب أن يكون صادقا بشدة، كما تحتاج أيضا للشجاعة؛ لذلك تستطيع أن تصرف من ذهنك كافة الأمور والظروف التي تشغله، وستحتاج للشجاعة لأنك عندما تترك كل شيء على هذا النوع فكل ما ستفكر به هو أنك تموت.

تعد هذه المرحلة وسيلة للتغلب على الوهم الزائف حول ذاتك التي وجدت من خلال طريقة تفكيرك التمييزية؛ فإذا استطعت أن تتمرن باستمرار على هذا النحو، فسيمكنك القول أنك تتمرن حقا على سيون، وإذا تعمق التدريب للتخلص من الذات الزائفة وأصبح أصليا بصورة كبيرة، فمن ثم وفي وسط حالة السامادهي ستظهر الذات الطبيعية بصورة تلقائية، فهي كالطفل بعد المخاض، ومن وجهة النظر النفسية، فإن هذه الممارسة تشبه الموت؛ لأنك تعهد بكل شيء يواجهك وتترك الارتباط بكل شيء، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الأمر يعد عملية إعادة ميلاد.

وعندما تظهر الذات الحقيقية ستشعر بسعادة لا توصف، ولكن ليس هذه هي النهاية؛ فمن هذه النقطة يجب أن تتقدم من منظور أساسك وأصلك، والفاعل الحقيقي، وهنا تبدأ الممارسة الحقيقية، حتى إذا وجدت

نفسك وتوحدت مع ذاتك، فيجب عليك الاستمرار في التدريب والتقدم فيه، وهذه تعد فترة زمنية شديدة الصعوبة؛ لأنك تعلم ذاتك الحقيقية ولست منجذبا لأي شيء، ويمكنك الراحة، وهكذا فسيكون من السهل عليك أن تبقى بهذه المرحلة، وتفكر في أن هذا هو ما تبحث عنه، وستصبح سعيدا جدا وفي غاية الراحة، وسيشبه هذا كما لو أنك تشرب مياه ربيع الحياة الصافية التي لم تحلم بها وأنت تدور في تلك المعاناة؛ لذا سيبدو الأمر كما لو أنك قد أنجزت شيئا كبيرا، وسيكون من الصعب عليك أن تتخيل أن هناك مستوى أعلى من التدريبات، وأنت لم تفكر أبدا بهذه المستويات العليا من التدريبات لأنك لم تسمع عنها أو تراها مطلقا، وعلاوة على ذلك، فعندما تنظر حولك، سترى كافة أنواع الأشخاص الذين هم بمستوى أدنى كثيرا من مستواك؛ لذا فسيكون من اليسير عليك أن ترى أنك الأفضل، وكل شيء أعلى من ذلك ستكون مظلمة ولن تراها وما يوجد أسفل منك فقط هو الواضح الذي تستطيع رؤيته، وستدرك كم أن هذه المرحلة حساسة، وإذا لم تكن شديد الحرص، فسيكون من السهل جدا أن تضل.

ومن الصعب أن تصبح شخصا مستنيرا بصورة كاملة مرة واحدة؛ لذا يجب ألا تعتقد أنك ستترك كافة الأمور مرة واحدة، وبدلا من ذلك لتبدأ بترك الأمور بالترتيب التي تثار به، ومن خلال هذا الأمر، سيمكنك تعميق التجربة وممارساتك، وأثناء تعهدك بكل شيء للجيوونج سستختفي الكارما وتسقط العادات، وكلما تركت وتركت، كلما ارتقيت في المستوى الروحي، وحتى عندما تستمتع باليقظة الداخلية، فلا تجعل هذا الأمر شديد الأهمية، ويجب أن تموت مرة أخرى دون أن تنفصل عن أي شيء يواجهك.

لكي تصبح بوذا

الموت في هذه المرحلة للمرة الثانية يجعل المتدرب لديه قدرات غامضة، وعلى الرغم من ذلك، فهذه هي إحدى الأشياء التي تجعلك تترك الأشياء

وتلقاها بعيدا، فإذا ظهر أي من الأربيع قوى القوية دعها تذهب إلى أصلك وأساسك ولتتكمل أنت طريقك؛ ولأنك قد تركت كل شيء يذهب إلى عقلك الغافل؛ فأنت تختلف عن هؤلاء الأشخاص الذين قد يكون لديهم قدرات متميزة، فهؤلاء هم بعض الناس الذين يتمتعون بهذه القدرات، ولكن هذه هي الحالة التي دائما لا يعرفون عندها مبدأ عدم الازدواجية ولا يتكون الأمور تذهب لأصلهم؛ لذا فهم يفكرون لأنفسهم، وهذه القوة هي كنز رائع؛ فإذا حاول شخص ما التمسك بهذه القوى محاولا تنميتها، فهم لا يضيعون أوقاتهم بطريق لن يصل بهم إلى الحرية، ولكن أيضا هناك خطر يكمن في أن ينتهي بهم الأمر بفقدان عقولهم والجنون.

إذا أدركت هذا الأمر، فستعلم أن كافة الأشياء تثار من عقلك، وإن عهدت بكل شيء حتى تلك القوى الأربعة إلى عقلك الفطري، فسيتم الوصول لعقلك الغافل، ويسمى هذا العقل بالعقل الغافل لكونه غير مضرب بفعل طبيعته الأصلية؛ فإذا وصلت إلى هذه الدرجة من التعمق، فلن تثار أسئلة مثل: هل توجد الذات أم لا؟ وفي هذه المرحلة سيكون الكلام عن ذاتك مختلفا جدا عن الـ"أنا" التي يستخدمها الأشخاص الذين لا يتمتعون بالتنوير الداخلي لدرجة أنه قد يكون من المنطقي أن تقول أن الـ"أنا" لم تعد موجودة، ومعنى آخر، إن العقل الغافل هو حالة من الفراغ التام من الأفكار الذي بصورة فطرية يقوم بترك الأمور، وليس حالة يقصد بها عدم وجود شيء، ولكنها أفضل حالة من الفراغ؛ حيث يمكن أن تقوم بفعل شيء أو أن تصبح أي شيء، وهي حالة يمكنها أن تبدد أي معاناة أو جهل أو حتى سيبدد العقل الغافل نفسه.

السعادة القسوى في البوذية-نيرفانا-

يجب أن تموت مرة أخرى بعد موتك المرثان السابقتان، بالإضافة إلى أنك يجب أن تبقي هذا الأمر سرا، وفي هذه المرحلة، فعلى الرغم من وجود فارق كبير بين "أنا" و"أنت"، فيمكن أن يصبح "أنت" و"أنا" هي "أنا"

"أنت"، وفي هذه المرحلة ستبدأ تدرك المبدأ الأساسي للتجلي، ويمكنك أن تظهر على هذا النحو؛ لأن العقل بصورته الأساسية ليس له شكل؛ لذا يمكن أن يظهر في عدد لا نهائي من الأشكال .

بعد أن تموت تماما للمرة "الثالثة"، سيبدأ تأسيس مرحلة التجلي والظهور، وهناك العديد من الأمور الغامضة بهذه المرحلة من التجلي والظهور، ومن الحقيقي أيضا أن الباراسول قد تجلو في عالم البوذية، وفي هذه المرحلة إذا تمكنت من الجلوس هادئا مع شعورك بالطمأنينة ستكون بوذيا، وإذا أثرت أيا من الأفكار تصبح بودهايساتفا، ويمكنك أن تتولى رعاية الكائنات غير المستنيرة بجميع أنحاء العوالم، ولا يمكن وصف هذه المرحلة بأي حال من الأحوال.

إن تحرير النفس فقط من المعاناة التي يتسبب فيها الموت والميلاد ليست هي المرحلة النهائية من تدريبات الشخص، ومن خلال الغموض والعمق الذي تتمتع به حقيقة مبادئ البوذية - دارما البوذية- يمكنك سماع كافة الكائنات غير المستنيرة كما يمكنك إنقاذ كافة الكائنات غير المستنيرة- ويمكن فعل كل هذا بالأيدي والأرجل التي ليست أباد وأرجلا حقيقية، وهذا كله ممكنا؛ لأنه من خلال قوة عالم البوذية يمكن فعل أي شيء، بحيث يمكنك قول أن كافة قوانين العالم المادي أصبح محكوما بالمبادئ البوذية (دارما البوذية). إن المعنى العظيم لدارما البوذية واسع جدا ويتعدى الإدراك.

إن نيرفانا تكون حاضرة أثناء حياتك، وليس بعد موتك، والأكثر من ذلك أنه حتى بعد أن تصرف من ذهنك وتبعد عنه فكرة أنك قد وصلت إلى نيرفانا، فستكون هذه هي الحالة الكاملة لنيرفانا، وعندما تصل إلى حالة نيرفانا الكاملة، سيمكنك ذلك من الوصول إلى حالة نيرفانا الخاصة بالوجود، ويجب أن تختبر الحالة التي لا يكون بها أي عظام ولا لحم عندما لا يكون هناك أي سبب لذلك الأمر.

الطريق الأوسط

عندما تستطيع معاملة المستنارين وغير المستنارين نفس المعاملة، فإن هذا يتبع الطريق الأوسط.

ليس هناك حاجة للتفكير في أن هناك جانب بلا معنى وجانب آخر يحمل معنى، فلتترك كلا الجانبين؛ فليس هناك حاجة لتقبل أحد الجانبين ورفض الجانب الآخر؛ فالجدال حول القبول أو الرفض يثار من أفكارك الثابتة؛ فاحتواء كلا الجانبين والتعامل معهما بالتساوي معناه أنه لا يوجد قدم يسرى وقدم يمنى، ولكن كلاهما معا كما هما.

ليست هناك حاجة لتقبل بشيء وترفض شيئا آخر، بل إنك بحاجة لتعلم كيفية العناية بالأمرين معا في نفس الوقت؛ فهذا ليس مجالاً لاختيار أحد الأمرين وترك الآخر، ويجب ألا تفقد نفسك في حالة الفراغ كما يجب ألا تفقد نفسك في العالم المادي، ويجب أن تجمع نسبة الخمسين بالمائة الخاصة بالعالم المرئي مع الخمسين بالمائة الخاصة بالعالم غير المرئي، فمنتصف الطريق يقصد به الفراغ العظيم الذي يجمع بين كافة العوالم.

مميزات وفضائل اليقظة الداخلية

إذا وصلت إلى حالة اليقظة الداخلية لمعرفة الطبيعة الأساسية للعقل، فستصبح حراً ومرتاحاً ولن تعد بعد ذلك عبداً لدائرة الكرامة والإحياء، فستصبح حراً لأنك لن يقلقك بعد ذلك أي شيء يثار من داخلك أو خارجك، وستختفي فكرة الـ"أنا" الراضخة عند الناس، وستبدو مثل الطبيب أو الممرضة، أو القاضي، أو المدعي العام، أو المحامي، وستبدو كرئيس أو فلاح أو غانية ولن تجد فارقاً بين كل هؤلاء؛ فمن خلال عقلك الأساسي يمكن إظهار أي شيء تحتاجه، ويمكنك أن تظهر هذا بملايين السبل دون حصر وتستطيع تولي رعاية الأمور المرئية وغير المرئية دون أي عائق؛ فهذه هي قدرة الشخص الذي يتمتع بحريته حقاً.

إذا تمتعت باليقظة الداخلية حقا، فستعلم حقيقة أن الوجود الكامل يوجد بداخل عقلك الأساسي؛ فلن يوجد شيء لا يعد مدخلا، ولا يوجد شيء لا يمثل قصيدة، ولا شيء لا يعد من المبادئ-دارما- ولا شيء لا يعد كنزا؛ فإذا حصل شخص واحد على اليقظة الداخلية، فبذلك يكون قد تم زراعة عدد لا نهائي من جذور اليقظة الداخلية في العالم، وعلى الرغم من صعوبة هذا، لكن إذا أصبح هناك شخص واحد مستنيرا، فسيتم نشر جذور دعم وإرشاد لا حصر لها في هذا العالم وكذلك بكافة العوالم الأخرى.